فإن قلت : فلعلّ الخليل يريد ان من قال : مررت بأخواك قد كان مرّ َة يقول : مررت بأخويك (كالجماعة) ثم رأى (فيما) بعد أن قلب هذه الياء أ ِلفا للخفة أسهل عليه وأخفّ كما قد تجد العربيّ ينتقل لسانه من لغته إلى لغة أخرى قيل : إن الخليل إنما أخرج كلامه على ذلك م ُخرج التعليل للغة م َن نطق بالألف في موضع جرّ التثنية ونصبها لا على الانتقال من لغةٍ إلى أخرى . وإذا كان قولهم : مررت بأخواك معلّ َلا عندهم بالقياس فكان ينبغي أن يكونوا قد س َبقوا إلى ذلك منذ أوّل أمرهم لأنهم لم يكونوا قبلها على ضعف قياس ثم تداركوا أمرهم فيما بعد فق َو ِى قياس ُهم . وكيف كانوا يكونون في ذلك على ضعف من القياس والجماعة ُ عليه ! أفت ُجمع كافّ َة اللغات على ضعف ونقص حتى ين ُبغ َ نابغ منهم فيردّ لسانه الى قوّة القياس دونهم ! نعم ونحن أيضا نعلم أن القياس مقتضٍ لصحّ َة لغة الكافّة وهي الياء في موضع الجرّ والنصب ألا ترى أن في ذلك فرقا بين المرفوع وبينهما وهذا هو القياس في التثنية كما كان موجودا في الواحد . ويؤكدّه لك أنا نعتذر لهم من مجيئهم بلفظ المنصوب في التثنية على لفظ المجرور . وكيف يكون القياس أن تجتمع أوجه الإعراب الثلاثة ُ على صورة واحدة وقد ذكرت هذا الموضع في كتابي في (سرّ الصناعة) بما هو لاحق بهذا الموضع ومقوّله .

فقد علمت بهذا أن صاحب لغة قد راعى لغة غيره . وذلك لأن العرب وإن كانوا كثيرا منتش ِرين وخ َل ْقا عظيما في أرض ا غير متحجرين